

بعد بداية العام ١٩٦٨، إلى موقف دفاعي وجامد على الصعيد العسكري، حيث أخفت الاحصاءات والبلاغات المضخمة حقيقة أن النسبة الساحقة من العمليات، في ١٩٦٩ و١٩٧٠، لم تتعدَّ إطلاق النار عبر نهر الاردن أو الاشتباك مع الكمانن الامامية الاسرائيلية. وجاءت أحداث ايلول (سبتمبر) ١٩٧٠ في الاردن، والخروج النهائي في تموز (يوليو) ١٩٧١، لتعزز المأزق السياسي والعسكري والفكري لحركة المقاومة الذي تمثل بالعجز عن الخروج بالردود الناجعة على العوائق والنكسات. ومزّت حركة المقاومة بسنتين عجفاوين بعد الخروج من الاردن، شهدت خلالها اضمحلال التأييد الشعبي وتقلص حجم القوات نتيجة لفقدان وجهة السير السياسية. فلاقت م.ت.ف. نفسها في داخل حلقة مفرغة: فقد أدى قصر نظرها السياسي، وضعف منهجها الذي عجز عن تهيئة الأدوات حتى في غياب الرؤية السياسية، إلى تشجيع الاعضاء والكوادر على هجرتها، مما زاد من شعور القيادة بالوهن ودفَعها نحو الاتكال على مصادر قوة بديلة. وقد ظهر مصدر قوة مغرٍ عقب حرب ١٩٧٣، حين بدا أن الدخول في اللعبة الاقليمية، من خلال الاتفاق مع النظام الاقليمي العربي، يُلغي الحاجة إلى بناء القوة الذاتية، العسكرية والتنظيمية والجماهيرية، ويؤدي إلى تحقيق بعض المكاسب شريطة أن تكفي م.ت.ف. بأهداف متواضعة. وهكذا، فقد اكتفت م.ت.ف. منذ ذلك الوقت، بالسعي وراء أهداف مرحلية دون أن تحدد الاهداف العليا بعيدة المدى. إلا أن صعوبة تحقيق حتى الاهداف المرحلية، بسبب عدم انقلاب موازين القوى ضد اسرائيل، كانت تعني أن تلك الاهداف لم تكن واقعية بمعيار قابليتها للتحقيق وبمعيار ملاءمة الاداة العسكرية الفلسطينية لها. فساد الغموض بين الاعضاء والجماهير الواسعة، على حد سواء، حول طبيعة الهدف المرحلي الذي كانوا يقاتلون من أجله، فهل تمثل بانعقاد مؤتمر جنيف أو التفاوض مع اسرائيل أو التحالف مع الاردن أم سوريا؟ وهل اقتضى وقف إطلاق النار أم شن الحرب عبر جميع الجبهات أم الاكتفاء بعمل الارض المحتلة؟ وهل شكّل العمل العسكري أولوية أم كان المطلوب، فقط، التواجد وإظهار الذات؟ وأدى غياب الاستراتيجية الشاملة بالمقاتل إلى عدم تطوير قدراته وتكتيكاته لأنه لم يُعدّ يعرف ما هو المطلوب منه، فهل يتدرب على قيادة الدبابات لمواجهة تنظيم محلي ما في صيدا أو صور أو جبل لبنان، أم يتدرب على القتال الغواري لمجابهة الجيش الاسرائيلي؟ وهل يحتشد ضمن تشكيلات كبيرة تلفت انتباه المراقبين العالميين أم ينتشر في مجموعات صغيرة ليجنب الطائرات الاسرائيلية؟

انعكس غياب الاستراتيجية الشاملة بميول سلبية عدة لدى القيادة الفلسطينية. وتمثل أحدها في السعي المستمر وراء تحقيق المكاسب السريعة، وخاصة الاعلامية منها، بدلاً من العمل التنظيمي والجماهيري الدؤوب المثابر الذي يخلق، وحده، أساس التقدم السياسي، مما حدد المنهج الذي حكم التعامل مع الجانب العسكري للنضال الوطني ويفسر ضعف ملاءمة الاداة للهدف. كما مالت القيادة الفلسطينية، بسبب افتقارها إلى استراتيجية بعيدة المدى تقدم المعيار وتفرض الاحتفاظ باحتياطي، نحو بذر الرصيد السياسي والمعنوي والعسكري (البشري خاصة) دون إعادة بنائه والتعويض عن المستهلك منه. أي أنه لم يتم بناء الكوادر والأطر والبدائل بصورة متواصلة لضمان وجود الموارد البشرية اللازمة عند الحاجة، كما كانت تفعل «فتح» قبل العام ١٩٦٥، بل تم استنفاد المخزون البشري والمعنوي تبعاً كلما تطلبت الظروف. وربما ساهمت معركة الكرامة، في آذار (مارس) ١٩٦٨، في خلق حالة من